Journal of Engineering Sciences, Assiut University, Vol. 36, No. 3, pp.759-770, May 2008

LOCAL ARCHITECTURE IN THE AGE OF GLOBALIZATION

Dr. Ezzat A. Morghany

Department of Architecture, Faculty of Engineering, Assiut University, Assiut, Egypt
ezzatmorghany@yahoo.com

(Received December 23, 2007 Accepted February 21, 2008)

Although the contradicted opinions, the term "GLOBALIZATION" has acquired the attention of economists, sociologists, cultured, and politicians. They are interested in the rapid developments which affect all fields (economic, politics, sociology, ecology ...) and passed the boundaries between the countries, nations and cultures. The media has a clear role in spreading this concept so that the globalization has been considered a historical determinism and with no alternative.

The globalization involves the daily facts and concerning all nations and societies. The built environment is the context of globalization, and the necessity of utilize the epoch technology may contradict with the need to guard the locality of the architecture which make it an art belongs to its culture. So the challenge between the local architecture and global architecture is the main problem of this paper.

The paper aims at studying the concept of local architecture in the age of globalization, and the influence of globalization on the local architectural thinking in contemporary era.

The paper consists of three parts: First one is an exploration of the deferent meanings of the term GLOBALIZATION and its effects on the local concepts, while the second part studies the concept of local Architecture versus the international (or global) architecture, the third part presents a theoretical approach for the local architectural trends in the global era

The paper conclude that: Because of the spreading of globalization concepts, the local architectural trends will go in one of two ways; One of them is: architectural trends will go against the global trends, and it will use the architecture as a defense tool to announce its particular identity through RE – PRODUCTION of local models, and it may use exaggerated details. The other one is: architectural trends will go with the global trends and the architecture will be one of the ways which will be used to announce the belonging of globalization through COPYING formal models from the leading countries of globalization. The second one is expected to be the strong trend in the weak parts of the globalization ring

العمارة المحلية في عصر العولمة

د.م/ عزت عبد المنعم مرغني
قسم العمارة – كلية الهندسة – جامعة أسيوط

ملخص:
رغم انقسام الآراء وتناقض المواقف حول ظاهرة العولمة فقد استطاعت استقطاب الشرائح الفكرية والفئات الاجتماعية متعددة الانتماءات والتخصصات من اقتصاديين وسياسيين وعلماء اجتماع ومثقفين لا يربط بينهم سوى اهتمامهم بجملة التغييرات النوعية المتلاحقة التي يشهدها العالم في مجال الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والبيئة، والتي تعدت نطاق الدولة وتجاوزت الحدود. وكان لوسائل الإعلام والدوريات والمجلات العلمية وتصريحات السياسيين دوراً محدداً لنشر هذا المفهوم على المستوى العالمي لدرجة اعتبرت العولمة حتمية تاريخية لا مناص منها لكل شعوب العالم.

تمثل ثنائية (المحلي - الكوني) أو الصراع بين العمارة المحلية والكونية الإشكالية الرئيسية للورقة البحثية، فالرغبة في توظيف تقانة العصر قد تتعارض مع الرغبة في الحفاظ على الروح المحلية التي تجعل من العمارة فن ذا قيمة تاريخية وثقافية. لذا فالبحث يهدف إلى دراسة مفهوم العمارة المحلية في عصر العولمة، وتأثير مفاهيم العولمة على الفكر المعماري المحلي المعاصر.

لتحقيق هدف البحث فإنه ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: يتناول الجزء الأول المفاهيم المختلفة للعولمة وانعكاساتها على المفاهيم المحلية، بينما يناقش الجزء الثاني مفهوم العمارة المحلية كمقابل لمفهوم العمارة العالمية، أما الجزء الأخير فيقدم تصورا نظريا لاتجاهات الفكر المعماري المحلي في عصر العولمة.

وتخلص الورقة البحثية إلى أنه في ضوء انتشار مفاهيم العولمة فإن الفكر المعماري المحلي سوف يأخذ اتجاهين متباينين، أولهما: الرفض التام للعولمة كرد فعل تلقائي يراها مهددة لهويته الجماعية وسيستخدم العمارة كأحد الأدوات الدفاعية لإعلان التمسك بالهوية من خلال إعادة إنتاج نماذج محلية مع المبالغة في التفاصيل الشكلية، والآخر: الانتماء لتيار العولمة وستمثل العمارة أحد الوسائل المتوقعة لإعلان ذلك الانتماء من خلال إعادة استنساخ نماذج شكلية منتشرة في الدول الفاعلة في منظومة العولمة ومن المؤسف أن ذلك الاتجاه هو المرشح للانتشار الأوسع داخل الحلقات الأضعف في منظومة العولمة.

كلمات مفتاحية (العولمة-العمارة المحلية –العمارة العالمية- الاتجاهات المحلية)

1/ مدخل تمهيدي (المشكلة- الهدف – المنهجية)

لم تحظ ظاهرة باهتمام الشرق والغرب على المستوى الرسمي والشعبي مثل العولمة باعتبارها أهم الظواهر التي تجتاح العالم في القرن الحادي والعشرين، فالعولمة تلك الكلمة الأكثر شهرة في عالم اليوم والمترافقة مع عبارات أخرى اكتسبت صفة الحسم مثال (العالم أصبح قرية صغيرة/ الاتصالات وحدت العالم) وغيرها من العبارات التي أصبحت تشكل محور الحديث لكل خطاب؛ وتختلف الخطابات في استعمالها للكلمة بين رافض ومؤيد ومدافع عن التراث في مواجهة العولمة، وخائف يرصد التعديات التي تأتي بها رياح العولمة، وداع للدخول في عالمها والمشاركة الفعالة [زايد، سبتمبر2003]. ورغم انقسام الآراء وتناقض المواقف حول العولمة فقد استطاعت استقطاب الشرائح الفكرية والفئات

الاجتماعية متعددة الانتماءات والتخصصات من اقتصاديين وسياسيين وعلماء اجتماع ومثقفين لا يربط بينهم سوى اهتمامهم بجملة التغييرات النوعية المتلاحقة التي يشهدها العالم في مجال الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والبيئة، والتي تعدت نطاق الدولة وتجاوزت الحدود [بن عمر، 2004]، وقد لعبت وسائل الإعلام والدوريات والمجلات العلمية وتصريحات السياسيين دوراً محدداً لنشر هذا المفهوم على المستوى العالمي لدرجة اعتبرت العولمة حتمية تاريخية لا مناص منها لكل شعوب العالم.

وعلى الرغم من أن منظري النظام الرأسمالي العالمي قد أسسوا نظرياتهم عن العولمة على تحليلات اقتصادية معاصرة؛ إلا أن ثمة اتفاق على قدم ظاهرة العولمة فقد عرفت المجتمعات عبر تاريخها صورا متعددة لها، فالإمبراطوريات التاريخية مثلا كان قيامها يرتكز على توحيد أقاليم وكيانات اجتماعية كانت منعزلة من قبل[فيذرستون، 2005]، وكل حضارة كان لها منذ نشأتها بشكل أو بآخر طموح عالمي، بل أن تاريخ العالم ما هو إلا تتابعات لصور مصغرة للعولمة، إذن فالعولمة ليست وليدة اليوم، والتطلع نحو توحيد العالم ودمجه هو طموح قديم ظهر في مختلف الأديان والفلسفات والإيديولوجيات على مر العصور، لكن الفارق الذي يحدث اليوم هو توافر وامتلاك الوسائل والتقنيات القادرة على تحقيق هذا الدمج [نهار، 2003]، فقد ساهمت الثورة المعلوماتية والاتصالات في انهيار البعد المكاني بين الحضارات والثقافات والأمم بحيث صار العالم وكأنه قرية صغيرة، إذ ازدادت التفاعلات بين الأفكار والمعلومات بشكل سريع، وعلى ما يبدو فإن العنصر الرئيسي البارز اليوم في العولمة هو كثافة انتقال المعلومات وسرعتها وهو ما يجعلنا أمام مرحلة جديدة ونوعية مختلفة عما قبل التسعينيات من القرن العشرين أي مرحلة الدولة القومية والحدود السياسية والجغرافية الواضحة.

1/1 الإشكالية:

تهدف العولمة ـ من وجهة نظر باحثين كثيرين ـ إلى توحيد العالم على أساس نظام نموذجي أحادي يلغي خصوصيات المجتمعات الناشئة والصغيرة وتكريس ثقافة المجتمعات القوية المسيطرة والمتفوقة لفترة أطول، فمنظومة العولمة بحاجة إلى أفراد ينتمون إليها ـ أي ينتمون إلى اللا مكان ـ باعتبار أن الانتماء إلى العولمة يتطلب فك الارتباط بالوطن وثقافته.

في المقابل فإن الثقافة الوطنية هي عبارة عن مركب متجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ لكل أمة أو جماعة بشرية هويتها الحضارية باعتبارها المعبر الأصيل عن خصوصيتها، فلكل أمة ما يميزها عن غيرها من الأمم بما تمتلكه من مقومات حضارية تعمل على تشكيل هويتها الثقافية وتمنحها حق الاختلاف والتمايز، كما تجعلها قادرة على التعاون مع بقية شعوب الدول الأخرى كشريك منتج له شخصيته المتفردة المستقلة بمقوماتها الحضارية المتمثلة في كل القيم الرمزية لا كتابع أو مستهلك أو مروج لما ينتجه الآخر. وتثير تلك الإشكالية مجموعة من الأسئلة مثل:

- هل تؤدي هذه الثقافة العالمية إلى القضاء على الخصوصية الثقافية للمجتمعات؟
- هل تهدد هذه الصياغة للثقافة العالمية هويات وثقافات المجتمعات المختلفة؟
- ما هو موقف المجتمعات المختلفة من العولمة؟

كما أن الأسئلة الأخرى التي تلح علينا بشدة هي (ما مستقبل الاتجاهات المعمارية المحلية، هل ستستجيب لمد التقنية؟) و(كيف ستكون انعكاسات هذه الاستجابة؟ هل "الطراز العالمي" الذي حاولت أن تسوقه العمارة الحديثة في مطلع القرن العشرين سيعود في ثوب جديد فرضته العولمة وانفتاح الأسواق المحلية؟) أسئلة تجعلنا نفكر مرة أخرى في ثنائية (المحلي/ الكوني)، فالصراع بين العمارة المحلية والكونية تتضح فيها الرغبة في توظيف تقانة العصر دون الخروج عن الروح المحلية التي تجعل من العمارة فن ذا قيمة تاريخية وثقافية.

وفي مجال العمران فإن العمارة لا تقتصر على استيفاء الحاجة الوظيفية للإنسان والمرتبطة بزمان ومكان معينين؛ بل لها وظائف تتعدى الحدود الزمانية والمكانية وحتى البيولوجية للوجود الإنساني،

فعلى المستوى الجماعي تمكن العمارة المجموعات البشرية من تسجيل وحفظ ذاكرتها الجماعية والمحافظة عليها وتخليدها رغم اندثار وجودها العضوي والبيولوجي. فعلى الرغم من عيش الأجيال المتعاقبة للجماعات الإنسانية في عصور غير عصور الأجيال السابقة وأمكنة غير أمكنتها إلا أن القيم الرمزية المرتبطة بالعمارة تستمر كحاجة نفسية تضمن الاستمرار لتلك المجموعات.

2/1 الهدف:

يهدف البحث إلى دراسة العمارة المحلية في عصر العولمة وتأثير مفاهيم العولمة على الفكر المعماري المحلي المعاصر.

3/1 المنهجية:

تتطلب مناقشة قضية التفاعل بين المحلي والعالمي أن نتعرف أولا على مفاهيم العولمة وتأثيراتها المختلفة، ومن ثم يمكننا مناقشة تأثيرها على العمارة المحلية، لذا فالبحث في سبيل تحقيق هدفه يتناول الموضوعات التالية:

- المفاهيم المختلفة للعولمة وانعكاساتها على النتاج العمراني.
- العمارة المحلية كمقابل لمفهوم العمارة العالمية.
- الفكر المعماري المحلي في عصر العولمة .

2/ المفاهيم المختلفة للعولمة وانعكاساتها على مفاهيم المحلية

في النصف الثاني من ثمانينيات القرن العشرين أصبحت العولمة مصطلحا شائعا في الدوائر الثقافية والتجارية والإعلامية وغيرها في عملية تكتسب عددا من المعاني وبدرجات متفاوتة من الدقة، فالعولمة مصطلح ومفهوم واسع دخل القاموس السياسي والاقتصادي والثقافي في الفترة الأخيرة لها معاني وجوانب متعددة فهناك العولمة الاقتصادية والعولمة السياسية والعولمة الثقافية والعولمة الإعلامية والمعلوماتية وغيرها[فيذرستون، 2005]. وتتأثر تعريفات العولمة باتجاهات الباحثين وموقفهم تجاهها رفضاً أو قبولاً، ومن البديهي أن يختلف أيضا فهم تأثير العولمة على النتاج المعماري المحلي باختلاف استيعابنا لظاهرة العولمة.

1/2 العولمة... المفاهيم

إن صياغة تعريف للعولمة بصورة دقيقة قد يبدو عمل شاق لتعدد تعريفات العولمة التي تختلف باختلاف إيديولوجيات الباحثين أو رؤيتهم السياسية أو وجهتهم العامة التي ينحازون إليها إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً، وعموما فقد تجاذب مفهوم العولمة ثلاثة تيارات متباينة [بن عمر، 2004]:

- **التيار الأول:** يرى أن العولمة هي هيمنة القوى الاقتصادية، والعسكرية على الأرض، وبكلام أكثر دقة "أمركة" النظام الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي.
- **التيار الثاني:** يرى أنها عملية تبادل منافع وخبرات ومعارف بين أمم وشعوب الأرض، وتحرر وتكامل اقتصادي.
- **التيار الثالث:** يرى أنها ظاهرة حضارية تؤدي إلى تحويل العالم إلى قرية صغيرة تتلقى نفس التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإعلامية، وهذا كله يقود إلى الاندماج المتسارع للاقتصاد العالمي.

وعموماً فمن الممكن فهم العولمة كظاهرة من خلال المداخل التالية: (العولمة من العالمية/ العولمة من التعميم/ العولمة كنتيجة للثورة المعلوماتية/ العولمة كظاهرة اقتصادية/ العولمة كمرحلة سياسية)

(أ) العولمة ... من العالمية:

هناك بعض الكتابات التي ترى أن مفهوم العولمة هو نابع من العالمية (العولمة هي إكساب الشيء طابع العالمية، وجعل نطاقه وتطبيقه عالميا) [الكفري،2003/7/30]، ومعناه أن تتحد شعوب العالم في جميع

أمورها على نحو واحد، فكأن العالم بيت واحد أو قرية واحدة، فالعولمة من العالمية تعني الانفتاح على العالم والاعتراف المتبادل بين الدول والمجتمعات والتيارات والأفكار والأديان المختلفة مع الاحتفاظ بخصائصها الأصلية واختلافاتها المميزة [هيبة، 2005].

عند مناقشة ذلك المفهوم من منطلق تأثيره على المحلية، نجد أن العولمة التي تأتي من العالم أو العالمية تتضمن مفاهيم أخرى في مقابل المحلية وتعني أن نتعامل مع العالم بأسره وكأنه كيان واحد لا تفصل أجزاءه وأقطاره حدود أو حواجز؛ والعولمة من خلال ذلك المفهوم تشكل تحديا كبيرا للكيانات المحلية التي تريد أن تحافظ على خصوصيتها أو خياراتها الخاصة داخل حدودها في وجه المؤثرات الخارجية بمختلف أنواعها، فالعولمة بهذا المفهوم تتضمن التداخل الواضح لأمور السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو الانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة[الكفري،2003/7/17].

(ب) العولمة... من التعميم:

العولمة تصف مجموعة من العمليات الشائعة على مستوى العالم [طلبة، 2005]، حيث ترى بعض الكتابات أن العولمة هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم أو نقله من المحدود إلى اللا محدود، فالعولمة تعني تجاوز الحدود خاصة الحدود السياسية للدول وإطلاق العنان أمام الاقتصاد والثقافة والفنون والاتصال لتتحرك وتنساب عبر العالم بطول وعرض الفضاء الواسع للكرة الأرضية [هيبة،2005].

ومن خلال هذا المفهوم فإن العولمة تتضمن نقل الثقافات الأقوى وتعميمها على الكيانات الأقل تأثيراً وبالتالي قد تمثل تحديا للأفكار المحلية حيث ستصبح النماذج العالمية المرتبطة بالثقافات الأكثر انتشارا هي النموذج المطروح للتعميم.

(ج) العولمة نتيجة للثورة المعلوماتية:

يستخدم مفهوم العولمة لوصف كل العمليات التي بها تكتسب العلاقات بين الشعوب نوعاً من عدم الفصل أو سقوط الحدود وتلاشي المسافة حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد أو قرية واحدة صغيرة، ومن ثم فإن العلاقات التي لا تحصى عددا أصبحت أكثر اتصالا وأكثر تنظيماً على أساس تزايد سرعة ومعدل تفاعل البشر وتأثرهم ببعضهم البعض [مكتبة الأهرام للبحث العلمي، 2004]، فقد ساهمت الثورة المعلوماتية والاتصالات في انهيار البعد المكاني بين الحضارات والثقافات والأمم بحيث صار العالم وكأنه قرية صغيرة. والنموذج الذي تطرحه العولمة لإدارة العالم مبني على مجتمع المعلومات والتكنولوجيا الراقية والإبداع الفني غير المحدود دون الاعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية، وهي الآلية التي تصبح من خلالها شعوب العالم متصلة ببعضها في كل أوجه حياتها[طلبة، 2005].

فإذا كانت العولمة تمثل الاستفادة من منجزات العلم إذا فهي شيء جيد لا يمكن الاستغناء عنه وحلقة من حلقات نمو وتفاعل الأفكار المحلية، وهي ظاهرة صحية لا خطر منها على القيم المحلية.

(د) العولمة ظاهرة اقتصادية:

العولمة هي وليد شرعي للشركات متعددة الجنسيات التي استطاعت السيطرة على أجزاء الكوكب اقتصادياً وسياسياً وثقافياً دون أن تنتمي لوطن محدد أو دولة معينة [طلبة، 2005]، فعلى المستوى الاقتصادي تجري العمليات والمبادلات الاقتصادية على نطاق عالمي بعيداً عن سيطرة الدولة، بل إن الاقتصاد القومي أو الوطني يتحدد بهذه العمليات، وهذا الوضع مغاير تماماً لما كان عليه الحال في الإطار القديم حين كانت الاقتصادات القومية هي الفاعلة أما الاقتصاد العالمي فهو ثمرة تفاعلاتها [الكفري،2003/7/17].

ومن خلال ذلك المنظور فإن العولمة هي طريق باتجاه واحد غير قابل للتغيير، وظاهرة لا سبيل لتجاهل تأثيرها، لها أسس تفرض عدد من المعالجات التي تجسد الخصائص الأساسية وتصبغ المكان بصبغة الاقتصاد العالمي[انطانيوس، سبتمبر2000]، والشركات متعددة الجنسيات لم تعمل فقط على إزالة التأثيرات الإقليمية الراسخة بل جلبت معها أيضاً بعض العناصر المميزة للمدينة الغربية.

(هـ) العولمة مرحلة سياسية:

قراءة التاريخ تؤكد أن العولمة تمثل مرحلة من مراحل تاريخ البشرية، فالتشابكات الاقتصادية ذات الطابع العالمي إنما هي نتيجة حتمية خلفتها سياسة معينة بوعي وإرادة، وبشيء من التأمل فإن العولمة نتاج سلسلة طويلة من التفكير أثناء الحرب الباردة وهي تطور طبيعي للاتجاه الرأسمالي الغربي، ولم يكن ظهور المصطلح ونشاطات العولمة إلا المظهر المباشر لفكر اقتصادي وسياسي، لذا لا يمكن اعتبار العولمة محصلة للتفاعل بين الدول، لكنها تعمل في استقلال نسبي بهدف توحيد العالم على أساس نظام نموذجي أحادي يلغي خصوصيات المجتمعات الناشئة والصغيرة وتكريس ثقافة المجتمعات القوية المسيطرة والمتفوقة لفترة أطول [الكفري،2003/7/30].

ويؤكد هذا التعريف للعولمة الدور السلبي الذي قد ينتج عنها فيما يتعلق بالكيانات الصغيرة حيث سيتم تعميم كل المظاهر التي تؤكد تبعيتها للكيانات الأقوى سياسيا واقتصاديا.

2/2 العولمة... التأثير

من العرض السابق للمداخل المختلفة التي تناولت مفهوم العولمة نجد أنها في مجملها اتفقت على أن العولمة تهدف إلى توحيد العالم على أساس نظام نموذجي أحادي يلغي خصوصيات المجتمعات الناشئة والصغيرة وتكريس ثقافة المجتمعات القوية المسيطرة والمتفوقة– فمنظومة العولمة بحاجة إلى أفراد ينتمون إليها- أي ينتمون إلى اللا مكان، حيث يتحدد الانتماء إلى العولمة بفك الارتباط بالوطن وثقافته، كما يتحدد الانتماء إلى العلم – في ظل العولمة- بفك الارتباط بالواقع الذي يرتبط عادة بشروط محلية خاصة محددة، فيصبح الانتماء العلمي انتماءً إلى علم يغيب معادله الواقعي، أو يصعب تحديد هذا المعادل حيث يكون في مكان ما افتراضي لا يخص أحدا بعينه. وفي ظل ذلك الوضع قد ينتج موقف جديد يتضاءل فيه دور وأهمية الكيانات الإقليمية الصغيرة ويتعاظم دور الأنماط العولمية إن جاز التعبير.

والنتيجة الأكثر وضوحا لانتشار أفكار العولمة وما صاحبها من تطوير لوسائل المواصلات والاتصالات ولأدوات قياس الوقت ونشر التكنولوجيا وأفكار الحداثة يمكن تلخيصها في خلخلة العلاقة بين الزمان والمكان، فتحول الزمان إلى زمان كوني مفتوح وتحول المكان إلى مكان كوني مفتوح، ولم يعد المكان مكاناً مغلقاً على مجموعة من الفاعلين الحاضرين في علاقة تقوم وجهاً لوجه؛ بل أصبح مجالاً مفتوحا لتفاعلات أبعد من نطاقه المحدود يدخل فيها أفراد غير موجودين بالمكان وأحداث لا تحدث في المكان ذاته، وسمحت هذه الخاصية بالانطلاق عبر الزمان والمكان دون قيود، كما نتج عنها تطوير نظم عقلانية لربط ما هو محلي بما هو عالمي [زايد، سبتمبر2003].

غير أن إعادة النظر في المفاهيم السابقة نجد أنها تتضمن في قلبها معاني مضادة لما قد تبدو عليه ظاهرياً فالقول بأن العولمة قد ينتج عنها توحيد للعالم أو أنها تحول العالم إلى قرية واحدة هو قول يهمل دون وعي الأبعاد التفكيكية للعولمة فالفهم الأوسع للعولمة يوضح أنها تعتمد في أدائها على آليتين هما[زايد، سبتمبر2003]:

- **آلية التحول الكوني:** وتتم من خلال خلق صور من التجانس والترابط عبر ميادين ومجالات الحياة المختلفة، فالثقافات العالمية الوسيطة تخلق تدفقات ثقافية على المستوى الكوني تظهر عبر خمسة أبعاد أو مجالات هي (المجال الإثني: من خلال تدفق الهجرات والسياح واللاجئين والعمال الغرباء، المجال التقني: والذي يظهر في التدفقات التكنولوجية عبر الشركات متعددة الجنسيات والشركات الوطنية والوكالات الحكومية، المجال المالي: والذي يظهر في التدفقات السريعة للنقود

وأسواق العملة والبورصات، المجال الإعلامي: من خلال تدفقات الصور والمعلومات عبر الصحف والمجلات والأفلام والتليفزيون، المجال الأيديولوجي: المرتبط بتدفقات الأفكار حول الحرية والديمقراطية والتنوير)

- **آلية التفكيك القاعدي:** المعتمدة على تفكيك النظم المحلية للتجارة بحيث تصبح خاضعة لاستراتيجيات رأس المال فتصبح الثقافات المحلية خاضعة للتفكيك وإعادة الصياغة وإعادة التكيف مع الوضع الجديد.

ومن خلال الآليتين السابقتين يمكن فهم التأثيرات المتوقعة للعولمة على النظم المحلية عموماً وعلى العمارة المحلية خصوصا، فالعولمة من خلال هذا الطرح من الممكن أن تشكل بالتبعية خطراً على العمارة المحلية حيث يرى البعض أن الاندماج في العولمة قد يتطلب التخلي عن مقومات العمارة المحلية بحثاً عن الاندماج في العالمية.

3/ العمارة المحلية كمقابل لمفهوم العمارة العالمية

تعتبر قضية العلاقة بين العمارة المحلية والعمارة العالمية من أكثر القضايا المعمارية أهمية ووضوحا في ضوء مستجدات العولمة وانتشار مفاهيمها بصورة سريعة في جميع أنحاء العالم؛ فالكيانات الأقل تأثيرا في دنيا العولمة هي الأماكن المرشحة لتصاعد تلك القضية حيث تمثل هذه الأماكن الحلقة الأضعف نظريا في عالم العولمة، فهي المتلقي للثقافات الأقوى والأكثر انتشاراً.

والعمارة من أهم المنجزات الإنسانية التي تعكس ثقافة العصر من جهة وثقافة المكان من جهة أخرى، فالأفكار والثقافات موجودة في التصرفات والسلوكيات كما أنها موجه في اتخاذ القرارات؛ ولكن التعبير عنها يظل أكثر وضوحاً في العمارة، فالعمارة تظل احدي أهم الأدوات والوسائل الإعلانية التي تستخدمها الشعوب للتعبير عن تطلعاتها وعن ما تتبناه من قيم ثقافية سواء لتأكيد الخصوصية أو الإعلان عن الاندماج. فالعمارة تنتمي في حقيقتها إلى عالم الرمز، فكل مظهر من مظاهر المبنى هو في حقيقته تعبير مجازي استعاري. فالشكل المعماري وسيط لنقل الفكرة أو المعنى المطلوب التعبير عنه كأفكار خارج حدود الخواص الفيزيائية، كالتعبير عن المكان أو الزمان أو عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية [Eisnman, 1988].

والمظهر العام الذي يبدو عليه النتاج العمراني في أي مكان لا يمكن اختزال العوامل المسببة له في عامل أو اثنين بل هو حصيلة ظواهر مركبة لا تخضع لعامل مؤثر وحيد بل لمجموعة متداخلة من العوامل تتنوع درجة تأثيرها [Rapoport, 1969]، ومن ثم لا يمكن الادعاء بأن المظهر العام للمكان سوف يتغير مباشرة نتيجة لعوامل ثقافية فقط، كما أننا لا نستطيع إهمال تأثير المؤثرات الثقافية على الشكل، فقد يحدث أن نجد أشكالاً قد تبدو لنا منطقية ولكنها ليست نتيجة لحل مشاكل تطبيقية. فاستخدام نفس الشكل مع اختلاف الموقع والظروف قد يكون ناتجاً عن الاعتقاد بصلاحية الشكل أكثر منه محاولة لحل مشكلة لها محدداتها الخاصة [Colquhoun, 1991].

وفي ضوء الفهم السابق للعمارة كوعاء معبر عن التغيرات الثقافية التي تمر بها الشعوب، يمكن القول بأننا في حاجة للاتفاق على أهم ملاح العمارة المحلية في مقابل العمارة العالمية.

1/3 العمارة المحلية

يتعامل البعض مع المحلية باعتبارها أحد المرادفات الممكنة للإقليمية؛ إلا أن هناك ثمة اختلاف بينهما فالإقليمية قد تطلق على جماعة عرقية أو ملامح جغرافية أو ملامح مناخية وأحياناً على حدود سياسية. وفي العمارة يبدو هذا الفرق واضحاً فالعمارة قد تنتمي لمكان أو نطاق جغرافي له خصائصه الواضحة (عمارة المناطق الحارة على سبيل المثال) وقد تطلق على العمارة المرتبطة بجنس اسمه (العمارة الأسيوية أو العمارة الأوربية) إذا فالإقليمية قد تمثل السبيل نحو تحقيق التجانس بين المكان والأفراد. بينما المحلية تحمل في جنباتها ثلاثة خصائص متكاملة هي:

- **الاستجابة للمكان:** من حيث المناخ والظروف الطبيعية وهي في ذلك تتفق إلى حد كبير مع المفاهيم المرتبطة بالإقليمية كنطاق جغرافي حيث أن الاستجابة للمكان تتضمن الاستجابة لظروفه الطبيعية وملامحه المناخية، وفي بعض الأحيان قد يكون ذلك كافيا لإعطاء العمارة ملامحها الخاصة وشخصيتها المميزة*.
- **الاستجابة الثقافية:** وتعني التعبير عن المقومات الثقافية والهوية الحضارية للأفراد، وفي مجال العمران تعتبر الهوية هي الإحساس بتميز المجتمعات بسمات وخصائص وملامح نفسية ومادية وروحية متفردة بتفرد الزمان والإنسان وتجعلها مختلفة عن غيرها، فالهوية تعني الخصوصية والاختلاف ولا تعني التفاضل فالهوية الجماعية لأمة هي تلك الأحاسيس والقيم المتعلقة بإحساس الاستمرارية والذكريات المشتركة وشعور بوحدة المصير يجمع بين فئة من الناس لها تجارب وسمات ثقافية مشتركة [فيذرستون، 2005]، لذا فمن الطبيعي أن تسعى الجماعات البشرية إلى المحافظة على هويتها وكينونتها عن طريق إعادة الصور المختزنة في أذهان أفرادها والتي تعبر عن خبراتهم السابقة التي لا بد للتقاليد من دور في صنعها، فهي ليست منتج جاهز أو مخترع ولكنها استجابة لمكان وظروف مشتركة [Chemrouk, 2000].
- **التقنيات المتوافقة:** يمثل ذلك الملمح نتيجة منطقية للاستجابة الواقعية لإمكانيات مكان وزمان محدد والتي تضمن للكيانات العمرانية الاستمرارية الحضارية مع المكان كذاكرة.

المحلية من خلال تلك الخصائص السابقة قد تعتبر أحد المرادفات الممكنة لهوية المكان بما يتضمنه من ملامح مادية ومعنوية، فالعمارة المحلية عبارة عن بناء متكامل الصور المترابطة والانطباعات الذهنية عن المكان والزمان.

2/3 العمارة العالمية

يمكن القول بأن مفهوم العمارة العالمية ارتبط في بداياته بالطراز الدولي، والذي مثل أحد أهم الاتجاهات المعمارية في القرن العشرين والتي أعطت الملامح الرئيسية لعمارة الحداثة نتيجة لانتشاره في كافة أنحاء العالم. و يعبر الطراز الدولي عن الفكرة التي طرحها "فيليب جونسون" و"هتشكوك" عام 1931 وأصدراها في كتاب حمل نفس العنوان في عام 1932، وفيه كانت وجهة نظرهما أن العمارة من الممكن أن تكون لها نفس الخصائص رغم اختلاف المجتمعات والأماكن والظروف.

لذا ففكرة العمارة العالمية تعني أنها تنتمي لثقافة محددة ولكنها تهمل المكان، فإذا كانت العولمة تتضمن إلغاء الزمان والمكان وتنادي بقيم وأفكار وثقافات واحدة تسود العالم؛ فإن العمارة العالمية هي المرادف المعماري لقيم العولمة، فالعولمة تقدم المبررات الموضوعية لانتشار طراز معماري واحد لعمارة لا تنتمي لمكان محدد ولكنها تحمل في جنباتها ملامح ثقافة قوية سائدة.

الطرح السابق لمفهوم العمارة العالمية يجعلنا نراها عمارة ذات محددات وملامح شكلية ترتبط بقيم ثقافية واحدة في أنحاء مختلفة من العالم تلك القيم من يمليها هو الثقافة الأقوى والأكثر انتشاراً بغض النظر عن الملامح المكانية أو الإنسانية.

3/3 هل العمارة العالمية تمثل المقابل للعمارة المحلية؟

هل العمارة المحلية تمثل المقابل للعمارة العالمية؟... وهل يجب علينا الاختيار بين المحلية والعالمية؟... أم من الممكن الاندماج بينهما؟ تظل تلك الأسئلة أبرز ما يمكن أن يثار فيما يتعلق بالعلاقة بين العمارة المحلية والعالمية أو العولمية.

---

* يرى البعض أن الاستجابة لظروف المكان الطبيعية والمناخية تظل غير كافية بمفردها لوسم العمارة بالمحلية، (فما الذي يجعل العمارة مختلفة في مناطق متشابهة في خصائصها المكانية؟) وهو التساؤل الذي طرحه "Rapoport" يتساءل في كتابه (House Form and Culture)

فالعمارة المحلية منطقها أنه لا يوجد مبرر للتشابه بين المنتج المعماري في البلاد المتنوعة فالإطار العام للعمارة في أنحاء العالم يحتمل التنوع في إطار المكان والمفردات هي ما تجعل عملا ينتمي لمكان دون الآخر، ولكن ما تقدمه العمارة العالمية (العولمية) يمثل دائما ما يمكن أن نطلق عليه عمارة الصدمة، أو عمارة تعلن عن هوية جديدة وحيدة لها ارتباط بمصدرها الفكري أكثر من اهتمامها بالمكان أو الأفراد.

في مقابل ذلك الفهم الذي يولي أهمية ملحوظة لإعادة إنتاج الأنماط المعروفة نجد الفيلسوف الإنجليزي "جون لوك" يرى في العقل صفحة بيضاء يكتب عليها الحس والتجربة بآلاف الطرق[النعيم،1421هـ] ومن ثم فبإمكان الإنسان أن يتقبل أي نماذج حديثة، والتشبث بإنجازات الماضي والوقوف عندها دون أن تثبت تفوقاً على غيرها من إنجازات العصر الحالي بما يسلب الجماعات الحالية حق الاختيار المشروع والمتوافق مع ظروفها الحالية.

رغم ما يبدو من تباين واضح بين المحلية والعالمية، إلا أن إدخال التأثير العولمي هو في حقيقته عدم إهمال لتأثير العصر والتعامل مع المكان بجميع خصائصه كجزء فاعل من المنظومة العالمية.

4/ الاستنتاجات .. الفكر المعماري المحلي في عصر العولمة

في ضوء ما سبق يمكن القول بأن البدائل المتاحة أمام الفكر المعماري المحلي هي في حقيقتها على طرفي نقيض، البديل الأول: هو في حقيقته رد فعل يحاول التأكيد على التميز ورفض الاندماج، بينما البديل الآخر: هو الاندماج وإعلان الانتماء للعصر حتى لا يوسم بالتخلف.

1/4 الاتجاه الأول: رد فعل مضاد لتأكيد الهوية.

هناك قناعة تامة لدى المخططين والمهتمين بقضايا العمران بأنه لا يوجد سيناريو وحيد للتطوير والتغيير ولكن من المكن أن يكون هناك سيناريوهات مختلفة لكل نسق حضري تختلف في فعالياتها طبقا لظروف وواقع كل مكان، وبالتالي لسنا في حاجة للاندماج في قيم واحدة. ويمكن النظر إلى الهويات المحلية باعتبارها الحلقات المكونة للمنظومة العالمية للتراث الإنساني ويصبح التعامل مع هذه المنظومة من منطق التوافق والتكامل لا من قبيل التشرذم والتضاد، وفي هذه الحالة تكمن المعالجة الموضوعية لطغيان العولمة وأن تؤمن بمبدأ الاختلاف الذي يمكن أن ينشأ عنه التعدد والثراء، ومن ثم يمكن الأخذ والعطاء من قبيل الندية الثقافية وعدم الشعور بالدونية أو القهر.

ومن الممكن استخدام العمارة لتأكيد الهوية المستقلة والشخصية المحلية مع التأكيد على أن الهوية لا تعني الجمود والتقليدية أو النسخ من أعمال عبرت عن ظروف مجتمع في زمن ما وقد لا تعبر عن ظروف نفس المجتمع في زمن لاحق كما يتخيلها البعض بقدر ما تعني التعبير عن ثقافة المجتمع وانعكاس للواقع الاجتماعي بما يحقق متطلباته المادية والمعنوية.

2/4 الاتجاه الثاني: حركة مع تيار العولمة

منطق هذا الاتجاه ينبع من التأكيد على أن البحث عن العالمية لا يعني قطع الصلة مع الماضي فقد كان هذا هو أبرز أخطاء الحركة الحديثة والطراز الدولي الذي استوجب رد فعل مضاد في مرحلة تالية، و تظل العولمة أو المحلية مجرد أيديولوجيات ثقافية أو اجتماعية أفرزت مكونات وتشكيلات مادية في العمران. فالعولمة لا تعني بالضرورة أحادية الثقافة بقدر ما تعني الثقافة المشتركة التي في إطارها تقوم الثقافات الذاتية لمختلف الشعوب.

لكن الخروج من المنطلقات النظرية إلى التطبيقات العملية لهذا الاتجاه نجده يتفرع إلى اتجاهين:

- أولهما هو ما يمكن أن نطلق عليه الاتجاه الانتقائي الذي يقبل بايجابيات العولمة دون التنازل المطلق عن محليته. ولكن تأثير ذلك الاتجاه يظل ضعيفا، فهو يحتاج الجهد الفكري الأكبر كما يحتاج لثقة أكبر في القيم المحلية كحلقة فاعلة ضمن منظومة العولمة.

- الاتجاه الآخر ما يمكن اعتباره إعلانا مظهريا عن اللحاق بركب العمارة العولمية وهو ما يأخذ صورة النقل السطحي للشكل كوسيلة تعبيرية دون أن يمتلك المقومات الفكرية التي تجعله عنصراً فاعلاً في حركة العولمة وتنقله من الفريق المتلقي لتأثيرات العولمة إلى الفريق الفاعل الرئيسي في تيار العولمة.

ويرى الباحث أن الاتجاه الثاني هو المرشح للانتشار في الدول النامية كمقابل للاتجاهات المتمسكة بالقيم المحلية، ويظهر ذلك الاتجاه بوضوح في البلدان التي تقع في الحلقات الأضعف في منظومة العولمة.

5/ الخلاصة.

- تمثل العولمة مرحلة أساسية في تاريخ البشرية لا يمكن إهمال تأثيرها.
- يختلف مفهوم العولمة باختلاف إيديولوجيات الباحثين أو رؤيتهم السياسية أو وجهتهم العامة التي ينحازون إليها إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً.
- تعد قضية العلاقة بين المحلية والعولمة من أبرز القضايا المثارة في مجال العمارة.
- في ضوء انتشار مفاهيم العولمة فإن الفكر المعماري المحلي سوف يتفرع في اتجاهين متباينين، أولهما سوف يأخذ صيغة الرفض التام للعولمة كرد فعل تلقائي يراها مهددة لهويته الجماعية وسيستخدم العمارة كأحد الأدوات الدفاعية لإعلان التمسك بالهوية من خلال إعادة إنتاج نماذج محلية مع المبالغة في التفاصيل الشكلية، والآخر سوف يعلن الانتماء لتيار العولمة وستمثل العمارة أحد الوسائل المتوقعة لإعلان ذلك الانتماء من خلال إعادة استنساخ نماذج شكلية منتشرة في الدول الفاعلة في منظومة العولمة ومن المؤسف أن ذلك الاتجاه هو المرشح للانتشار الأوسع داخل الحلقات الأضعف في منظومة العولمة.

6/ المراجع:

1- الكفري، مصطفى العبد الله (2003/7/30): **"العولمة - المفهوم والمصطلح.. توضيح معنى العولمة ليس مجرد مسألة معرفية"**، الحوار المتمدن/ صحيفة الكترونية يومية مستقلة - يسارية علمانية ديمقراطية، العدد 548 ، 2003/7/30 ، http://www.rezgar.com

2- الكفري، مصطفى العبد الله (2003/7/17): **"العولمة - المفهوم والمصطلح.. توضيح معنى العولمة ليس مجرد مسألة معرفية"**، الحوار المتمدن/ صحيفة الكترونية يومية مستقلة - يسارية علمانية ديمقراطية، العدد 543 ، 2003/7/17 http://www.rezgar.com

3- النعيم، مشاري عبد الله (1421هـ): **"المقاومة الثقافية في المجتمع السعودي المعاصر"**، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، العددان 1-2، السنة 26.

4- انطانيوس، غيداء منيف (سبتمبر2000): **"بين الأصالة والعولمة.. المعالجات البيئة التقليدية وتطبيقاتها في العمارة العربية المعاصرة"**، المؤتمر المعماري الأردني الثاني (العمارة والبيئة- نحو عمارة مستدامة)، نقابة المهندسين الأردنيين **"**شعبة الهندسة المعمارية**"** بالاشتراك مع جمعية المعماريين الأردنيين، 26-27 سبتمبر، عمان، الأردن.

5- بن عمر، عمر صالح (2004): **"العولمة الاقتصادية وسبل تفعيل إقامة سوق إسلامية مشتركة"**، 2004/06/01. http://www.arriyadh.com

6- زايد، أحمد (سبتمبر 2003): **"عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية"**، مجلة عالم الفكر، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، العدد 1، المجلد32.

7- طلبة، معتز محمود. (2005): **"رؤية مستقبلية لإستراتيجية العمل المعماري والعمراني في مصر في حقبة العولمة- خصوصية ومحلية العمارة-عمومية ودولية العولمة"**، المؤتمر العلمي الدولي الثاني(العولمة وما بعدها..العمارة والمجتمعات وعمرانها) قسم الهندسة المعمارية، جامعة القاهرة، مصر.

8- فيذرستون، مايك. (2005): **"ثقافة العولمة..القومية والعولمة والحداثة"**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة بالتعاون مع المشروع القومي للترجمة المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

9- مكتبة الأهرام للبحث العلمي، (2004): **"العولمة"**.

10- نهار، حازم (2003): **"العرب والعولمة"**، الحوار المتمدن/ صحيفة الكترونية يومية مستقلة - يسارية علمانية ديمقراطية، العدد 454 . 2003/4/13، http://www.rezgar.com

11- هيبة، خالد محمود (2005): **"اتجاهات العمارة المصرية في عصر العولمة"**، المؤتمر العلمي الدولي الثاني(العولمة وما بعدها..العمارة والمجتمعات وعمرانها) قسم الهندسة المعمارية، جامعة القاهرة، مصر.

12- ----- (2004) : **"اقتصاد المعرفة أحد صور العولمة"**، مجلة العربي، الكويت، العدد 551.

13- Chemrouk, Naima Chabbi. (2000): "**Globalizing and Cultural Identity**", TRIALOG, A Journal for Planning and Building in the Third World, No 64-1.

14- Colquhoun, Alan. (1991): "**Essays in Architectural Criticism, Modern Architecture and Historical Change**", 6th Printing, MIT Press, London, England.

15- Eisnman, Peter. (1988): "**Architecture as a Second Language: The Text of Between. In Diani**", Marco & Ingraham, Catherine (Ed.), (Restructuring Architectural Theory), Northwestern University Press, Illinois, USA.

16- Hillier, Bill. (1993): "**Specifically architectural theory**", The Harvard Architecture Review, V.9

17- Rapoport, Amos. (1969): "**House Form and Culture**", Prentice-Hall, Inc, London, England .